التباعد الاجتماعي والتواصل الاسري إبان الكورونا وبعد إنتهائها

بقلم د. منال يوسف خاطر

موضوع كورونا ليس فقط أزمة صحية، بل هو أزمة إنسانية على جميع الأصعدة، أزمة إنسان ،أزمة مواطن، أزمة معيشية في وطن تنتج عنها تداعيات اقتصادية دون شك.

تأزم الأحوال وسط تفشي جائحة (كوفيد-19)، دفع العدد الهائل من الأشخاص للعيش حاليًا تحت ضوابط الحجر الصحي الذي شكل تحديًا غير مسبوق للبشرية.وهذا مادفع فريقاً من علماء الأعصاب والفلاسفة الأوروبيين للقول أن العيش في عزلة يشكل تهديدًا فريدًا يتعارض مع الغريزة البشرية الأساسية للتواصل والترابط الاجتماعي، وذلك يستحق اهتمامًا أكبر من قادة العالم لبحث في كيفية المعالجة .

كما فرض هذا التأزم عن طريق احد عيوبه نوعاً آخر من خفض التواصل الطبيعي أو الواقعي بين الأفراد، وحلّ مكانه التواصل الافتراضي عبر قنوات التواصل الاجتماعي، التي وفرّت إلى حدٍ ما، مهام الاطمئنان على بعضنا البعض. في حين أن هذا التباعد القسري مع الآخرين كان له نوع آخر من التقارب بين أفراد الأسرة الواحدة، بل ربما نستطيع القول إنه قوّى العلاقات بين الأب وأولاده، فشاركهم الحوار والمناقشات والانشطة واللقاء على طاولة الطعام ، بعدما كان الجميع قبل الكورونا، متفرغاً لنفسه وأعماله وزياراته التي قد تحرمه من الالتقاء بأفراد الأسرة في الأيام العادية . وقد سهم ذلك في التخفيف من المشاكل الأسرية، التي كانت تحدث بسبب العمل أو الزيارات أوتمضية الاوقات مع الأصحاب.

الأقرباء أصبحوا أكثر حرصاً على السؤال عن أقاربهم، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، القريبين أو البعيدين، وهذا ما قوى العلاقات والروابط الأسرية. والدليل أن كل أسرة أصبح لديها "FamilyGroup" ليبقوا على تقارب وتواصل مع بعضهم البعض وخاصة عبر ال عبر "الفيديو كول".

كذلك الخصومة و المشاحنات بين أفراد الأسرة الواحدة، وحتى مع الآخرين إنخفضت ، وما يقال عكس ذلك فهي شائعات يراد بها تضليل الناس.

في إطار آخر فرض علينا هذا الوضع نظاماً معيشياً جديداً، يرتكز على التباعد عن الناس، وأيضاً نقل فصول المدرسة إلى البيت، والتعلم عن بعد، وإرسال الفروض المدرسية عن بعد أيضاً. وهذا ما سبب الكثير من العصبية لكافة أفراد الأسرة، وخاصة الأطفال الذين لم يعتادوا على البقاء في المنزل، وعدم التنزه هنا وهناك. فكل اسرة تقريبا لديها العديد من الأصدقاء والمعارف الذين هم بمثابة أهل في الغربة، ومن الطبيعي في هذه الأجواء أن تقتصر لقاءتها عن بعد لضرورة تنفيذ التباعد الاجتماعي والذي من شأنه الحفاظ على أرواحنا وأرواح أولادنا.

الصعوبة التي لم يتمكن الافراد تحملها في هذة الازمة، هو عدم تمكن الابناء زيارة والديهم وعدم الاهل من زيارة ابنائهم .فمنذ بداية انتشار الكورونا وإطلاق التحذيرات بعدم الخروج من المنزل وعدم التجمعات(فرض التعبئة العامة) اكتفى الأقارب المباشرون بالتحدث عبر الهاتف، خوفا على الكبار بالسن والذين لديهم امراض مزمنة (أمراض الكلى والضغط والسكري والقلب أمراض الاورام السرطانية...)، وحرصاً على عدم اصابتهم بهذا الوباء الخطير والذي قد يسبب الوفاة . واليوم الكل مشتاقون إلى بعضهم البعض، آملين أن تزول هذه الأزمة، وتعود الأحوال إلى سابق عهدها.

طالت التغيرات الإجتماعية ايضا العادات والتقاليد ومناسبات الفرح والترح، وكذلك السلوكيات الفردية والجماعية، كما طالت التصرفات اليومية، والإنفعالات النفسية والإجتماعية. وذلك لأن الدروس المستفادة من جائحة كورونا جلّ مهمة لغايات التغيّر والتغيير في الجوانب الإجتماعية للدفع نحو التأقلم مع مستجدات العصر، والتطورات التي أساسها الحفاظ على الصحة العامة، وأسس السلامة ومعاييرها، درءاً لإنتشار الوباء والفايروس والتحولات المستقبلية في هذا الشأن.

ثقافيا، ستعيد كورونا نظر الشعوب بثقافاتها وتقاليدها السائدة، وستظهر عادات وتقاليد وأخرى ستختفي ، وهذا أمر جديد ربما لم تألفه البشرية من قبل، كما ستتعرض بعض الطقوس الى اعادة تقييم لجدواها او استجابتها لمقتضيات العلم والحاجات البشرية... لكن ذلك لن يعني قطيعة عالمية بين البشر، بل سيتولد إدراك جديد لاننا بحاجة الى تضامن وتعاون اكثر، لمواجهة التهديدات التي تواجههم ، وهذا يشير بدوره الى ان العالم سيكون بحاجة الى نظام عالمي اكثر اهتماما بحاجات البشر الأساسية، واكثر استجابة للحفاظ على سلامة الكرة الأرضية لتستمر بالعطاء لمصلحة سكانها. فعنوان المرحلة المقبلة بعد كورونا سيكون حتماً : قرب الأسرة وأفرادها من بعض ومحبتهم لبعض، وتواصلهم، وتمتين القيم الأسرية من محبة وإحترام ووفاء وتعاضد وتكافل وغيرها.

أما نتيجة التباعد الإجتماعي الفيزيائي فستكون : كبح جماح الأمراض، وعدوى الفايروسات عن طريق ترك المسافات الآمنة ، والعزل المنزلي، وتغيير العادات التي تقتضي القرب المكاني والفيزيائي أثناء السلام واللقاء والمناسبات. في الأيام المستقبلية المقبلة بعد زمن كورونا ستختفي أو تقل أكثر العادات التي إعتدنا عليها، وخاصة تلك التي فيها خطورة نقل الفايروسات وحتى الأمراض بين الناس، وذلك يشمل ،ولا يقتصر على، عادات المجتمع اللبناني بالسلام باليد والعناق المتكرر والحَضْن والأرجيلة والتدخين والأكل بالأيدي والقرب المكاني من بعض وغيرها، حيث أن وقف هذه العادات حتماً سيؤول إلى ثقافة عصرية جديدة تحقق الأمان الصحي للجميع.

على المستوى الصحي، مثّل كورونا صدمة للبشرية ولغرورها التكنولوجي، وبدأت جميع دول العالم إعادة النظر في حساباتها، وتطوير أنظمتها الصحية، لجعلها اكثر استعداداً واستجابة لحالات مستقبلية شبيهة بكورونا او أشد فتكا منه.

تعليميا بدأت الأنظمة التعليمية عبر العالم بتطوير أدواتها، فأصبح التعليم عن بعد أكثر كفاءة وتطورا، حبث اليوم في استجابت الانظمة والمؤسسات لهذا الاسلوب، ولكن قطعا ستبدأ كل دول العالم بالاستعداد لحالات مشابهة، وستعمل على تطوير تقنياته ، رغم ان هذا الأمر لا يخلو من المخاطر، فهو يعتمد على استمرار شبكات الانترنيت والطاقة الكهربائية... والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو مصير التعلم عن بعد لو تعرضت هذه التقنيات الى الانقطاع والتدمير او التعطيل؟ الاجابة ستكون فشل هذا النوع من التعليم . لذلك اعادة النظر فيه ليكون اكثر استجابة للتهديدات غير المتوقعة.

ان العالم بعد هذا الوباء لن يكون كما هو عليه اليوم، فالاقتصاد العالمي من أكبر المتضررين منه، وقد يدفع الانهيار الاقتصادي في لحظة ما الى تصاعد حجم العنف الدولي الى درجة اندلاع الحروب الكبيرة .

على صعيد التأثيرات الاقتصادية محلياً، لاسيما في الدول النامية، سنكون امام حالة كارثية، الى درجة تصاعد معدلات البطالة والجريمة والتطرف والعنف، فضلا عن تنامي الإرهاب وتنظيماته، بسبب توافر الظروف المغذية، ولن يتمكن الاقتصاد المحلي وحتى العالمي من تجاوز تأثيرات كورونا السلبية سريعا.

إبان فترة كورونا التي ما زالت مستمرة لاحظنا مجموعة تغيرات منها مثلاً :

- في رمضان توقّفت التجمعات على الولائم، وتوقفت ولائم العنايا، وتم إستبدالها للمقتدرين بالمال، وفي ذلك فضل من الله ومنع للتجمعات التي لا يُحمد عقباها، ولا تُعرف نتائجها، ومعظم هذه الولائم تأجلت لقابل الأيام، أو إستبدالها بالمال أو الطعام الجاهز للبيوت، دون تجمعات أبداً.

- التجمعات الكبيرة إندثرت إلى غير رجعة وخصوصاً في المباريات والطوابير العامة والمولات والمطاعم وغيرها. باعتبار هذه المواقع تعتبر بؤراً ساخنة وإنشطارية ، كمراكز لنقل العدوى والوباء ، كونها تمثل مراكز تجمع الناس، وعدم مراعاة المسافات الآمنة والتباعد

- مناسبات الأفراح توقفت تماماً، وبعد انتهاء الازمة ستتفذ بأعداد محدودة جداً، وستقتصر على المُقرّبين، ولن نرى مظاهر أفراح كالسابق من حيث العدد والقُرب الفيزيائي بين الناس. حتى المباركات تتم حالياً عن بُعد من خلال الهواتف الخليوية أو وسائل التواصل الإجتماعي.

- كذلك الحال بالنسبة لمناسبات العزاء، وعيادة المرضى، كلّها تحصل عن بُعد بالتواصل الإجتماعي والخليوي، وتقتصرحالياً بالمبدأ على المقربين جداً، وهذا بالطبع يخفّف على الناس الجهد والمال والوقت ويفي بالغرض دونما هدر لأوقات أصحاب المناسبة أو الزوّار.

- حتى السهرات والنراجيل والحفلات وغيرها كانت نادرة جداً فب هذه الفترة ، ومستقبلاً ستتراجع لأن درجة وعي الناس وجرعتهم الروحانية والإيمانية ارتفعت، فالناس أصبحوا لا يحبّذون ضياع الوقت والطلعات البعيدة عن الأسرة وأي فعالية فيها كثافة للناس وتقارب فيزيائي، مما يؤشر على تغييرات جذرية في الثقافة المجتمعية لكل البشر.

هذه المرحلة التي مررنا بها ومازلنا في زمن الجائحة ، ستساهم في نشر ثقافات جديدة بين الناس، جلها الحذر، والتباعد الإجتماعي، والمسافات الآمنة، والطوابير، وعدم التبذير، والترشيد للإستهلاك، والتكافل الإجتماعي، وروحية العطاء والعمل الإجتماعي، والتواصل الإجتماعي عن بُعد، والإكثار من المهاتفات على حساب الزيارات، والبريد الإلكتروني ووسائل الرقمنة والإنترنت والمشي دون مركبات وتجذير ثقافة الحاجة أم الإختراع وغيرها....

وأخيراً، نتطلّع للإستفادة من دروس جائحة كورونا لتنعكس على قيمنا وعاداتنا الإجتماعية في كثير من القضايا التي باتت سبباً في إنتشار الفايروسات، والأهم من ذلك كله نظافة القلوب، ونبذ الكراهية التي

تعشّش عند البعض، ليصبح مجتمعنا، مجتمع التكافل والتكامل والمحبة بدلاً من البغضاء والحقد والحسد والأنانية.

لعله واقع الحال ...قسمات وجه معبرة ، وقنديل كاز سيضيء عتم الليالي... مع رجاء قيامتنا المنشودة من هذا الكابوس اللعين ...المل كبير برحمة الله